الليبيـــون ...

للأديب مصطفى بعيو الطرابلسي

من المتفق عليه بين علماء الجيولوجيا أن شمال أفريقيا لم يكن صحراوياً فى العصور الغابرة ، بل بالعكس كانت أمطاره غزيرة مما ساعد على جريان الأنهار فيه واخضرار أراضيه ونمو الغابات ، وبالتالى على تكوين البحيرات الشاسعة التى كانت ملجأ للتماسيح والجاموس البحرى ، وعاملاً على وجود المستنقعات التى تحلق فوقها الطيور ؛ وكانت هذه المستنقعات تشغل الأماكن المنخفضة وما زالت آثارها باقية إلى الآن تشهد بما كانت عليه الصحراء الكبرى فى العصور القديمة ؛ وكانت ترتع حول هذه البحيرات وبين أشجار الغابات أنواع من الحيوانات ، بعضها من آكلة اللحوم وبعضها من آكلة العشب ، ولكنها انقرضت بعض أجناسها واختفت نهائياً بمرور الزمن نتيجة لحدوث تحول فى الأمطار أدى إلى نقصانها شيئاً فشيئاً فى الصحراء وازديادها فى أواسط أفريقيا مما نتج عنه جريان نهر النيل الحالى ، فاضطر سكان شمال أفريقيا ، ومنهم « الليبيون » أن يهجروا إقليمهم ويتجمعوا حول الأماكن الخصبة الجديدة التى كان من بينها نهر النيل ووديه ، وإلى الآن لم يُعرف بالضبط تاريخ صحيح لبدء هذا التجمع ، وقيل أنه يرجع إلى ستة عشر ألف سنة مضت ، ومن هنا نرى أن الليبيين كانوا عنصراً أساسياً فى تكوين الشعب المصرى القديم الذى ازدهرت المدنية على يديه ، والذى سبق الشعوب الأخرى فى مضمار الحضارة . أما من بقى من الليبيين فى مكانه ، فقد كان على اتصال بمصر وأهلها

وبالأسف أن معلوماتنا عن الليبيين فى تلك العصور القديمة قليلة جداً ، وكل الذى نعرفه أنهم كانوا يعيشون على هيئة قبائل متفرقة مثل الآن ، والقبائل الملاصقة لحدود مصر كانت تمتاز بشعرها الأسود وعيونها المسلية وهى قبائل التحنو ، أما قبائل المشواش Meshwesh ، فهى إلى غرب القبائل الأولى ، وقد سكنت الصحراء المجهولة الحد وقتئذ ، وأهلها ذوو شعور شقراء وعيون زرقاء ، وهناك أسماء أخرى كانت تطلق عليهم منها رابو Rabu ، وقد ذكر هيرودوت أبو التاريخ هؤلاء القوم تحت اسم ماكسيز Maxyes ، وهم بلا جدال أصل البربر الذين استعمروا شمال أفريقيا فيما بعد ، والمشواش قوم متمدينون نوعاً ماهرون فى الفنون الحربية مسلحون جيداً

وكان الليبيون ينظرون إلى مصر الممثلة فى واديها الخصيب بعين الطمع خصوصاً وأنهم قد أصبحوا فى صحراء جرداء مما دفعهم إلى محاولة الاستيلاء على مصر للحصول على خيراتها العظيمة كلما حانت الفرص ، فليس بغريب بعد ذلك أن يصفهم أحد ملوك مصر وهو منفتاح « بأنهم يمضون أوقاتهم محاربين ليملئوا بطونهم كل يوم ، وقد أتوا إلى مصر ليحصلوا على ما تحتاج إليه أفواههم » وكان الوجه البحرى دائماً عرضة لهجوم الليبيين القاطنين غربيه وأنه لكثرة هجرة هؤلاء القوم إليه انصبغ الجزء الغربى منه بالصبغة الليبية التى بقيت ظاهرة فيه حتى زمن هيرودوت المؤرخ اليونانى . وتشير أقدم أخبار الوجه البحرى إلى مناوشات ومشاحنات مستمرة مع الليبيين . على أنه عند ما تمكن الملك مينا من توحيد الوجهين وتثبيت عرشه وجّه همه لتأمين البلاد من هجمات الليبيين فشن عليهم الغارات وأسر منهم حوالى مائة وعشرين ألف نسمة عدا مليون واربعمائة وعشرين ألفاً من الأغنام ، وأربعمائة ألف من البهائم كما جاء ذكره فى الآثار المصرية . وكانت هذه الغارة بمثابة طرد عام لهم . على أن هذه الضربة القاسية التى حلت بهم لم تمنعهم من الإغارة على مصر بل كانوا ينتهزون فرصة حكم الملوك الضعاف للهجوم على الوادى وسلب ما يحتاجون إليه مما أقلق بال فراعنة مصر ؛ ولهذا نراهم يتخذون سياسة حازمة نحو الليبيين ويقومون بالحملات عليهم تارة ، وأحياناً يلجأون إلى سياسة سلمية لإيقاف هذه الغارات بأن يتزوجوا من الليبيات لعقد أواصر الألفة والسلام . ومن أنصار السياسة الأولى مينا كما تقدم ، وسمورع أحد ملوك الأسرة الخامسة الذى ترك لنا نقشاً ظافراً يمثل انتصاره على اللوبيين وفيه نرى جماعة المهزومين من قبيلتى

« باقت » و« باش » ومعهم قطعانهم من البقر والماعز والحمير وهى تعد بالآلاف . أما أمنحت الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة فقد أرسل نجله سيزوستريس الأول على رأس جيش ليعاقب الليبيين على أثر غارة شنوها على الدلتا فثأر منهم . وأهم عمل قام به أنصار هذه السياسة هو ما فعلته الملكة حتشبسوت حيث أجبرتهم على دفع الجزية . وأما الذين اتبعوا سياسة المصاهرة فهم قليون وعلى رأسهم الملك خوفو العظيم بانى الهرم الأكبر الذى تزوج من سيدة ليبية

وحدث حوالى القرن الثانى عشر قبل الميلاد أن استوطن بعض الليبيين الواحتين اللتين هما جنوبى وغربى الفيوم ، وتقدم بعضهم حتى بلغوا الشاطئ الغربى لفرع النيل الكانوبى المعروف وقتئذ بالنهر الكبير . ولما زاد عدد الليبيين بالدلتا تجاسروا وتطاولوا على فرعون مصر فجمعوا شملهم وكونوا قوة نظامية للاستيلاء على أرض مصر ، وكانوا وقتئذ تحت قيادة ملكهم المدعو مريى Meryey وهذا أجبر بدوره النحنو أن ينضموا إليه ، ثم استعان بقرصان البحر الأبيض المتوسط وأخذوا يزحفون على مصر للاستيلاء عليها والاستيطان بها . أما حلفاؤه من قرصان البحر المتوسط فكانوا مكونين من سردينيين وصقليين ومن باقى أهالى جزر البحر الأبيض المتوسط ، وكان هؤلاء القوم قد عبروا البحر كثيراً فيما مضى وإليهم يعزى أصل الليبيين البيض البشرة (يرى هذا المرحوم جيمس والأستاذ هنرى برستد) ، بذلك أصبح الليبيون يهددون كيان الدولة المصرية . وكان على عرشها فى ذلك الوقت منفتاح فرعون موسى عليه السلام ـ على ما يقال ـ فاستعد هذا الفرعون لخطرهم وأمر موظفيه بحشد الجيوش وتجهيزها . وكان الليبيون فى ذلك الوقت قد أخذوا يتقدمون نحو مصر فلما أبصروا خيراتها العظيمة ازدادت همتهم واشرأبت أعناقهم إليها ، فاخترقوا الحصون المصرية الغربية ، وهناك عند مدينة پريرع « Perire » التى تجهل موقعها الآن اشتبكت الجنود المصرية مع الأعداء وتمكنت من طردهم بعد أن كبدتهم خسائر فادحة وأجبر ملكهم مريى « Meryey » على الفرار إلى وطنه تاركا جميع أسرته ياتساً من النصر بعد أن قتل أولاده الستة ؛ ثم خلعه قومه وملكوا عليهم غيره . ويستدل من الفتات والغنائم أن جيش الليبيين وحلفائهم كان لا يقل عن عشرين ألف مقاتل وهكذا نجت مصر من الغزو الليبي

توفى الملك ورمر « Wermer » خليفة الملك السابق المعزول فورث العرش ابنه تيمر « Themer » وهذا صمم على الانتقام لشرف الليبيين من فرعون مصر ، وكان فى ذلك الوقت رمسيس الثالث ، ولتنفيذ غرضه نراه يتحالف مع قرصان البحر الأبيض المتوسط ثانياً ولكن سرعان ما هزمهم رمسيس الثالث بالقرب من مدينة « رمسيس الثالث معاقب أهل التحنو (لبنا) »

أمام هذا الفشل المتكرر لم ير الليبيون فائدة من القيام بحملات ضد مصر لكى يستوطنوها ولكنهم مع ذلك قاموا بهجرة عظيمة ثانية إلى غربى الدلتا على أثر غزو قبائل المشواش لبلادهم التى أتلفوها ثم أجبروهم أن يتحدوا معهم لمحاربة مصر ، وتولى قيادة هذه الحملة الجديدة مششر « Meshesher » بن ملك المشواشيين المدعو كپر « Keper » ولكن الفشل فى هذه المرة أيضاً كان حليفهم إذ هزمهم فرعون مصر فولوا هاربين بعد أن قتل قائدهم وأسر والده مع عدد عظيم منهم واعتبر رمسيس الثالث هذا النصر العظيم عيداً يحتفل به سنوياً وسماه « عيد قتل المشواشيين » ولقب جلالته نفسه بعد ذلك بالألقاب الآتية : « حامى مصر والمدافع عن الأقطار وغازى المشواشيين ومتلف أرض التحنو »

هذه هى المرة الثالثة التى صدت فيها القبائل الغربية عن الدلتا ونيلها . ولم يعد بعد ذلك عند رمسيس الثالث مجال للخوف من تلك الجهة بالرغم من أن قوة الاستمرار عند الليبيين لم تنعدم بالمرة . والمعروف أن هؤلاء القوم لم تتحد لهم كلمة بعد ذلك ، لكنهم أخذوا يهاجرون مسالمين إلى القطر المصرى كما فعلوا قبل حكم الأسر ، وكان ذلك على فترات متقطعة وبنفر قليل لم يقاومهم فرعون مصر ولم يهتم بهم كثيراً لعلمه بضعفهم وعجزهم ، ولكن بفضل هذه الهاجرة السلمية استطاعوا أن يبسطوا بعض نفوذهم على الوجه البحرى . ومما ساعدهم على ذلك

زيادة الجنود الليبية المأجورة بالجيش المصري باطراد . وكان فراعنة مصر قد لجأوا إلى استخدام الجنود المرتزقة فى أواخر الدولة الحديثة من التاريخ المصرى القديم ، وأصبح الجيش المسكر بالدلتا لحفظ النظام هناك تحت قيادة ضباط مشواشيين قابضين على قلاع تلك الجهة مما أدى إلى تقوية نفوذ المشواشيين حتى إنه حدث فى عهد الأسرة الحادية والعشرين أن تصرت بعض الوظائف الهامة عليهم

ثم ظهر من بينهم رجل قوى ثرى يدعى شيشنق لقب نفسه « برئيس المشاش المعظم » استطاع أحد أحفاده أن يعلى من نفوذ أسرته الليبية ثم انتهز فرصة ضعف آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين أو انقراض ملوكها واستولى على عرش مصر واتخذ له مدينة تل بسطة عاصمة للملكه وكان ذلك فى عام ٩٤٥ق م وقد اعتبر مانيتون المؤرخ المصرى القديم شيشنق هذا مؤسساً للأسرة الثانية والعشرين وبذلك استطاع الليبيون التربع على عرش مصر بلا تعب ولا حاجة إلى امتشاق الحسام بعد مضى مائتى سنة تقريباً من وفاة رمسيس الثالث الذى سحقهم سحقاً لما علم بنياتهم الخبيثة نحوه ولكى يوطد شيشنق عرش أسرته زوج ابنه بكريمة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين لكى يمنح ابنه حقاً شرعياً لتولى عرش مصر بعد وفاته وذلك عن طريق زوجته

حاول شيشنق هذا إصلاح حال مصر وإرجاع أملاكها القديمة فنراه يبسط نفوذه على فلسطين تاركاً ولايتها لسليمان الحكيم كما استرجع النوبة . والخلاصة أن مصر تمتعت برخاء نسبى فى أول عهد الحكم الليبى بعد أن ساء حالها . وقد كشفت آثار بعض ملوكهم فى العام الماضى فوجد معظمها من الفضة وهى كما نعلم كانت فى عهد الفراعنة أغلى من الذهب مما يدل على حياتهم المترفة . ويجب علينا ألا ننسى أن الحكام الليبيين تطبعوا بالطباع المصرية وحاكوا أهلها فى العادات وعبدوا المعبودات المصرية وقدموا إليها القرابين كأهل البلاد تماماً ، ولكن كل هذا لم يمنع سقوط عرشهم فى عام سنة ٧٤٥ ق . م على أثر ازدياد نفوذ قواد الجيش المأجورين فقووا مركزهم فى مدن الوجه البحرى وعملوا على تقسيم القطر المصرى إلى عدة أمارات حربية صغيرة وبذلك يكون طول مدة الحكم الليبى فى مصر حوالى ٢٠٠ سنة إذ تولوا العرش فى سنة ٩٤٥ ق . م تقريباً

ويجب ألا ننسى أنه لولا المشاغبات التى كان يقوم بها الليبيون لما فكر فراعنة مصر فى غزو تلك البلاد لفقرها ، اللهم إلا استثنينا الواحات حيث تزرع الكروم التى كانت لها شهرة خاصة وزيتها الذى يطلق عليه الزيت اللوبى ، وكان يستعمل حسب التقاليد المصرية لدلك الأجسام .

مصطفى بصير الطرابلسى
كلية الآداب — اسكندرية

إلى هواة المغناطيسية والى المصابين بالاضطرابات العصبية

ترسل تعليمات مجانية عن شرح طرق وتدريبات تعلمك كيف تتخلص من الخوف والوهم والخجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والعادات الضارة كشرب الدخان ومن العلل والآلام الجسدية وفى تقوية الذاكرة والإرادة ودراسة الفنون المغناطيسية لمن أراد احتراف التنويم المغناطيسى والحصول على ديلوم فى هذا الفن اكتب إلى الأستاذ ألفريد توما ٧١٩ شارع الخليج المصرى بنمرة بمصر وارفق بطلبك ١٥ مليما طوابع للمصاريف فتصلك التعليمات مجاناً .

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و ٧٠ قرشا من كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة فى مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد .